

د. وائل المشيمي و د. محمد المديب

الإعجاز العلمي في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)



د. وائل المشيمي، رئيس قسم الفيزياء بكلية ابن سينا الأهلية للعلوم الطبية بجدة
د. محمد المديب، رئيس قسم العظام بمستشفى بخش (الجزيرة) بجدة

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَقْسَمَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ وَالْأُمُورِ الْمَجْلِبَةِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْقِيَامَةِ (لَا أُقْسِمُ
بِیَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَئِنِّي لَأُقْسِمُ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ)
(1) وَفِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ ()
فَلَا أُقْسِمُ بِمِيقَاتِ الْمُنْجَمِ
(2) وَفِي سُورَةِ الْمُنَافِقَاتِ ()
فَلَا أُقْسِمُ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ
(3) وَفِي سُورَةِ التَّكْوِينِ ()
فَلَا أُقْسِمُ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ
(4) وَفِي سُورَةِ الطَّارِقِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
وَالْمَسَاءِ وَالطَّارِقِ
(5) .. وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الشَّمْسِ ()
وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ
(6) وَفِي سُورَةِ الضُّحَى يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ()
وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ
(7) وَغَيْرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابَةِ الْكَرِيمِ وَلِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَظِيمٌ فَهُوَ لَا يَقْسَمُ إِلَّا بِشَيْءٍ عَظِيمٍ مِمَّا يَدْعُو الْمُسْلِمَ
إِلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ وَإِعْمَانِ النَّظَرِ فِيمَا أَقْسَمَ بِهِ اللَّهُ وَمَحَاوَلَةِ اسْتِجْدَائِهِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى مَوَاطِنِ الْعِظَمَةِ فِيهِ وَالتِّي جَعَلْتَهُ يَذَالُ هَذَا
المشرف العظيم وهو قسم الله سبحانه.

ومن هذا المنطلق ذود أن نقف وقفة تدبر وتأمل لقول الله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) (8) وتوسيع مدلول
هذه الآية وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني على ضوء الاكتشافات العلمية المعاصرة وإظهار الإعجاز العلمي وشبوت هذه
الحقائق العلمية التي تنبأ بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

المبصر في اللغة العربية:

ورد في معجم لسان العرب، قال ابن الأثير، في أسماء الله تعالى المبصير، هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافئها بغير جارحة، وقيل: المبصر حاسة الرؤية. وقال ابن سيده: المبصر حس العين والمجمع أبصار

قال سيبويه: بَصُرُ صَارَ مُبْصِرًا، وَأَبْصَرَهُ إِذَا أَخْبَرَ بِالَّذِي وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ، وَأَبْصَرْتَ الشَّيْءَ: رَأَيْتَهُ. وَبِأَصْرَهُ: نَظَرَ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ أَيْ هُمَا يَبْصِرُهُ قَبْلَ صَاحِبِهِ. وَبِأَصْرَهُ أَيْضًا: أَبْصَرَهُ.

ما جاء في تفسير الآيتين الكریمتین:

المقسم في القرآن بـ " لا أقسم":

وفي التفسير إجمالاً أن لا أقسم تعني أقسم وهي قسم مؤكدة بأداة المنفي لا.

قال القرطبي في الجامع لإحكام القرآن، المعنى أقسم بالأشياء كلّها ما ترون منها وما لاترون.

وورد في تفسيرنا لقرآن العظيم لابن كثير؛ يقول تعالى مقسماً لخلقها بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم:

و في تفسير الجلالين: {لَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ} من المخلوقات، {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ} منها أي بكل مخلوق.

و جاء في تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المizan للسعدي: أقسم تعالى، بما يبصر الخلق من جميع الأشياء، وما لا يبصره. فدخل في ذلك كل الخلق.



أقوال الكتاب المعاصرين في هذه الآية:

يقول الدكتور عبد الباسط الجمل في كتابه "عالم الحياة بين القرآن و العلم": إذن يوجد في البيئة ما يعيش معنا، وما نبصره، ولكن قد نبصره مستقبلاً، ولذا كانت دقة لفظ القرآن (وما لا تبصرون) ولم يكن القول - ولله المثل الأعلى في قوله (بما لن تبصرون) وذلك يمثل عطاءً من الله للإنسان ممثلاً في تلك القدرات العقلية التي منحها إياها ليستخدمها في كشف اللثام عن هذه الكائنات.

و يقول عبد الرزاق نوفل في كتابه "القرآن و العلم الحديث": إن التقدم في العلوم قد أثبت أن الوجود ينقسم إلى عالمين: عالم منظور، وآخر غير منظور.. فالأول هو كل ما يراه الإنسان سواء بعينه المجردة أم بالمجاهر والأجهزة المقربة، فكل ما في السماء وما تحت الأرض وما في قاع المحيطات وما في المسحب وكل ما يمكن رؤيته بالعين إنما هو من العالم المنظور، والعالم غير المنظور قد أصبح حقيقة لا تقبل المشك و الجدل.. ويقول العلماء أن هذا العالم أوسع وأرحب من العالم المنظور وأكثر ازدحاماً!..

و يقول د/عدنان الشريف في كتابه "من علم الفلك القرآني": أقسم المولى في الآية الكريمة بجميع مخلوقاته سواء كانت مرئية بالعين المجردة أو بواسطة المجهر والمرصد، أو غير مرئية كالأشعة المجهولة والملائكة والروح والجنان والجنة والنار وكل الغيبات. ربما كان ذلك، والله أعلم، لكي يتوقف الإنسان العاقل مطولاً أمام بديع الصنعة والإعجاز الكامن في كل خلق من مخلوقات الله بدءاً من أصغر جسيم في الذرة وهو "الكوارك" (Quark) وانتهاءً بأكبر المجرات وأبعدها.

و يقول الدكتور حامد أحمد حامد في كتابه "رحلة الإيمان في جسم الإنسان" أن العين تستطيع رؤية الموجات بين 400-700 نانومتر بينما لا تستطيع رؤية الموجات الأقصر مثل الأشعة فوق البنفسجية و الموجات الأطول مثل الأشعة تحت الحمراء.

